التداخل الإجناسي في شعر الجواهري
(المثل العربي) أنموذجاً

مهدي عيدان الوائلي
الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية ـ قسم اللغة العربية

مدخل

تنطلق هذه الدراسة من رؤية الناقد جيرار جينيت، التي تولي أهمية خاصة إلى دور المتلقي بوصفه شرطاً محورياً من اشتراطات تشكّل المعنى، وهي محاولة للارتقاء بالشعرية من منظور جديد (تجاوز النص) الغرض منه تفسير النصوص وفهمها بانتظام، ليستوي موضوع الشعرية بالتعددية النصيّة، والطبيعة المنفتحة، والاتساع النصي، وهو بذلك إنما يسعى إلى تقويض الحواجز بين الأجناس الأدبية، من هنا يمكن تلمس الامكانات الفنية لدى الجواهري في كيفية استثمار موروثه الأدبي متجسداً في الانفتاح على(المثل العربي)، والإفادة من حمولاته الدلالية والفنية حين يشغل مساحة معينة من جسد النص لينتج خطاباً شعرياً تلتحم فيه الأجناس، وهذا لا يشير إلى القدرة الفنية بقدر ما يعكس الوعي لدى الشاعر بموروثه الأدبي، وتوظيفه في معالجة المواقف الفكرية والاجتماعية والسياسية وفق رؤية اللاإجناسية، وهي محاولة ترمي إلى تنمية فهم منهجي للميكانيزمات السيميائية في الخطاب الشعري .

Intertextuality in Al Jawahiri's poetry

(Current Example) model

The study is based on the theory of (Gerard Jenette), which is give special important to the receiver by describes him as a main condition from conditions of meaning structure.

The study is an attempt to rises the poeticalness from modern view (Transtextuality), the purpose of it is to explain the texts and concept it in orderly.

The study is aims to eliminates the obstacles between literariness models, from this point we can find the skill of ability of Al Jawahiri and how he apply his literature legacy which formed in the openness on (Current Example).

يمثل هذا النوع من التناص مرحلة من مراحل التحوّل في العلاقات التناصية، من التناص الذي يعني تداخل النصوص إلى تداخل الأجناس الأدبية .

التداخل الاجناسي:

مقاربة تفكيكية تكشف عن جانب من جوانب الشعرية العربية، وهي محاولة تنطلق من داخل النص لفهم تعالقاته وامتداداته الموضوعية على وفق منظور تناصي يسعى إلى تقويض الحواجز بين الأنواع الأدبية .

لقد حاز المثل على خصوصية أدبية عالية منحته سمة السيرورة والتداولية الواسعة مما شكّل حضوراً فاعلاً متميزاً، تجاوز حدود الزمان والمكان ، ويمكن الوقوف على أهمية المثل من خلال العناية الفائقة التي حظي بها في الثقافة العربية بوصفه جنساً أدبياً وشكلاً تعبيرياً حاز على شروط الأدبية، لأربعةٍ اجتمعت فيه لا تجتمع في غيره من الكلام كما يقول ابراهيم النظّام (ت ٢٣١ هـ): إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة . وإذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشُعوب الحديث كما يراه إبن المقفع[١]. ويرى ابن الأثير وجهاً آخر من وجوه الأهمية حيث يقول: ((الحاجة إليها شديدة، وذلك أن العرب لم تضع الأمثال إلّا لإسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء)) [٢] . المقصود من ضرب الامثال توجيه عناية المتلقي الى تجسيد الحالة؛ لذلك هيء الخطاب القرآني نفسية المتلقي، من قوله تعالى: ((يا أيُّها النّاسُ ضُرِبَ مثلٌ فاستمعوا لهُ))[٣] ؛ لأن الاداء الوظيفي للمثل لا ينحصر في الصيغة البيانية والتمثيل فحسب ، إنما محاكاة حالة لحالة أخرى، بوصف المحاكاة تمثل التفكير الفلسفي الأوّل الذي انطلقت منه كثير من المقاربات النقدية كالتناص مثلاً .

تشكّل الأمثال جزءاً مهماً من تراث أي أمة من الأمم ثقافياً وأدبياً ، فالمثل ولد من رحم الواقع لصلته المباشرة بحياة الناس اليومية وارتباطه الوثيق بالحياة الإجتماعية، فهو خلاصة التجارب والحوادث والاستنتاجات التي انتهت إلى حكمة بالغة ليس في كلام العرب ((أوجز منها ولا أشدّ اختصاراً)) [٤] تبثّ الموعظة وتعبّر عن نظرتهم إلى الوجود وعن مثلهم الأخلاقية، ومواقفهم النفسية باسلوب مفعم بالافصاح تارة وبالايحاء والترميز تارة أخرى؛ وذلك جزء مما استدعى الباحثون القدامى الى جمع الامثال وتدوينها، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) الذي يرى أن ((الأمثال حكمة

---

[١] ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، ص : ٦ .
[٢] ـ ابن الأثير ، المثل السائر، تح : د . أحمد الحوفي ، ج١ ، ص : ٥٤ .
[٣] ـ ســـــورة الحج / ٧٣ .
[٤] ـ إبن الأثير ، المثل السائر ، ج١ ، ص : ٢٣ . .

العرب في الجاهلية والاسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه)) [٥]. يبدو أن أهمية المثل استأثرت بعناية المشتغلين في حقول الأدب على اختلاف مشاربهم، فالفارابي اللغوي (ت ٣٥٠هـ) يرى في المثل: ما تراضاه الخاصة والعامة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم ، وفاهوا به في السراء والضراء،... وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقّصر في الجودة أوغير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة[٦].

ويمكن تجلي أهمية المثل من زاوية نظر نقدية من خلال إجماع الذوق العربي على انتقاء المثل دون سواه كانموذج في النفاسة، للتفريق بين المعاني والأقوال، فالأمثال عندهم ((وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، التي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسير من مثل)) [٧].

فالمثل: اختيار لساني، انماز بالكفاءة التداولية؛ لصدق تمثيله قضايا المجتمع وفكره وتقاليده، واختزال الدلالة ودقة إصابتها، بذلك يكون المثل أقوى من الشعر وأبقى .

إن التداخل الإجناسي مع المثل يمنح النص الشعري قدرة الإيحاء والتأثير على ذهن المتلقي بما يختزنه من خصائص الشعرية، كما يمنح النص ثراءً لغوياً بوصفه اختياراً لسانياً تناهت عنده الذائقة العربية، من جهود ثقافية وخبرة فنية، وهذه الخصائص رسّخت التصوّر بتفرّد المثل بخصائص دلالية وفنية لا تتوفّر في جنس أدبي آخر؛ لهذا يعد المثل من أحب الأجناس الأدبية للنفس وأقربها إلى الوجدان . وتبرز وظيفة المثل من خلال تأدية الغرض الذي قيل من أجله بصيغة أعمق أثراً، وأقرب مورداً، حيث يكسب النص الشعري خاصية الديمومة والتداول؛ لإنه يستمد قوته من شروط الأدبية، وأسباب التفرّد، فضلاً عن ذلك خضوع المثل لجمال صياغة الشعر وما لذلك من وقع وأثر في النفوس، فالتجنيس مع المثل يُعد أحد تمظهرات رؤية جينيت المنفتحة للشعرية التي تتحقق في (التجاوز النصي) وتقويض الحواجز بين الأنواع الأدبية، التي حاول البحث أن يرصد حركة المثل بوصفه عابر الحدود الإجناسية والتأريخية من خلال انتظامه داخل نسيج النص والتحامه مع بنية الشعر وفق أسلوب متجانس، واسهامه في تشكيل أدبية النص، والكشف عن وظيفته كأحد روابط

---

[٥] ـ السيوطي ، المزهر في اللغة ، ج١ ، ص : ٣٨٤ .
[٦] ـ الفارابي ، ديوان الأدب ، ص : ٤٧ .
[٧] ـ إبن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص : ٦٣ .

التراسل الثقافي، وعليه فإن التناص مع الأمثال العربية من حيث القراءة والقاريء جاء ظاهراً صريحاً((ويكون التناص ظاهراً عندما تكون النصوص التي تتداخل في نص أو خطاب المؤلف جزءاً من الموروث الثقافي الجمعي لجماعة بشرية معينة، كالنصوص الدينية، والأساطير المحلية، والأمثال والأقوال السائرة. كما يكون صريحاً عندما يشير المؤلف صراحة إلى الخطابات أو النصوص التي ضمنها في خطابه))[٨] .

وقد جاءت تناصات الجواهري مع المثل العربي على وفق آليتي التضمين والتمثيل.

١-آلية التضمين :

جاء التضمين للأمثال العربية في نصوص الجواهري تضميناً جزئياً أو كليّاً .

أ-التضمين الجزئي :

يحاول البحث تصنيف الأمثال بحسب دلالتها، وقد تبيَّن أن أغلبها انصرف في غرضي المدح والقدح، ومن ذلك قول الجواهري من قصيدة (عقابيل داء) [٩]:

إذا قيل من أرض العراق تطلَّعت عيونٌ لهُ وانهال أهلٌ ومرحبُ

يحكَّمُ في الجلَّى أغرُّ مُشَّـــهرٌ وُيحتاجُ في البلوى عذيقٌ مرَجَّبُ

تداخل النص الشعري مع المثل العربي (**أنا جُذيلُها المُحَكَّك وعُذَيقُها المُرَجَّب**) [١٠]، على وفق آلية التضمين الجزئي لأجل تعضيد مقصدية الدفاع عن الهوية، وتوكيد أن العراق أمة ولود للرجال الصيد الميامين ، لذلك تبرّم الشاعر مما أقرّت عليه الرجال من ضيم واستكانة، وانبرى يؤكد سمات الريادة والشرف والحكمة من خلال نظرة الإحترام وما يوليه الآخر من تكريم واعجاب .

---

[٨] - د. شجاع العاني، الليث والخراف المهضومة، ص: ٩٦ . رصد الدكتور شجاع العاني ثلاثة أنواع للتناص من حيث القراءة والقاريء : ١ـ التناص الظاهر أو الصريح، ٢ـ التناص المستتر، ٣ـ التناص نصف المستتر.

[٩] - ديوان الجواهري ، ج٢ ، ص : ٢١٥ .

[١٠] - الميداني ، مجمع الأمثال ، (١٢٥ – ٨٣٢) . الجُذيل : تصغير الجذل ، وهو أصل الشجرة . المحكك : عود ينتصب في المبارك تتحكك به الابل الجربى . العُذيق : تصغير تعظيم كما في تعظيم الداهية (المصيبة) يقال : دويهية ، والعذق : النخلة بحملها .
المُرجّب : ارفاد وتدعيم النخلة الكريمة الاصل إذا كثر حملها يحميها من السقوط . والمثل هو قول الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري ، قاله يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر ، يريد أنه رجل يُستشفى برأيه وعقله ، وهو خطاب يصوّر باكورة الصراع الأيديولوجي حول السلطة .

لقد شفّر الخطاب الشعري مرسلة تضمّنت أن العراقيين هم الاكفّاء في قيادة بلدهم من سواهم؛ لأن الشخصية العراقية انمازت بكل خصائص القيادة من رجاحة العقل والتدبّر والحكمة وسعة الخبرة، حيث ينتدبون لتيسير ما جلّ من الامور، ويحتكم إليهم المتخاصمون، ولعراقة أصالتهم وقوّة عزيمتهم ومنعتهم؛ يعقد عليهم الرجاء للفصل في الملمات ودرء المخاطر، وعلى ذلك ((فالشعر في العراق يكاد يكون طريقة حياة))، فهو على حد قول محيي الدين اسماعيل: ((أخطر تعبير عن الشخصية العراقية)) [١١] .

أمّا البؤرة التناصية التي استقطبت اهتمام النص اللاحق هي التطابق في وجهات النظر المتمثلة في اختراق المتخيل الثقافي، ذلك الإختراق الذي يؤسس لشيوع ثقافة الاقصاء على الرغم من توافر أسباب القيادة، فالناص استوعب حركة التأريخ فاستثمر البعد الدلالي الذي سعى اليه الحباب بن الجموح للتعبير عن الكفاءة ونبذ الوصاية .

تجلّى التداخل الاجناسي عن التلاحم في نسيج النص وغياب الحواجز الاجناسية مما أفضى إلى التماسك النصي، وتوافق المنطلق الفكري في الحرص على ترسيخ الكليات ذات المضمون الانساني، وتقويض الأنساق والأفكار المخادعة التي ترمي إلى ترسيخ فكرة التسلط القمعي، بذلك يكتسب التناص أهمية أخرى في خصوصية التوظيف بوصفه نشاطاً يسعى إلى التصدّي إلى كلّ سلوك يبتغي التهميش، إضافة إلى إيقاظ الفكر وتحرره من خلال التراسل الثقافي بين الحاضر وألق الموروث في مكتنزات الأمثال من دلالة، وجماليات الصوغ الفني، والحكمة، ودقة الإصابة، وهذه المزايا جديرة بإثراء شعرية الخطاب في اطار التجنيس .

ويقول الجواهري من قصيدة (باسم الشعب)[١٢]:

لا تَسْجَحَنْ حيثُ النّكالُ ضرورةٌ ولقد يكون نكايةً إســـجاحُ

جاء التداخل النصي متقاطعاً مع دلالة المثل العربي **(ملكتَ فأسْجِحْ)**[١٣]

إن مجيء (لا الناهية) قلبت سياق النص وأفرغت المثل من مدلوله الإنساني إذ شحنته بحمولات دلالية مغايرة للرفق والعفو والتسامح والتحوّل إلى إقامة العقاب والنكال، وهو بذلك يستحث الزعيم عبد الكريم قاسم – الذي وسمت شخصيته بالتسامح – أن يقتصّ ممن استباح دماء العراقيين، لم يرتكز التناص على البؤرة التناصية للمثل في (العفو عند المقدرة)، إنما قام على تصوّر مثير للجدل يرى

---

[١١] ـ نقلاً عن د . سلمى الخضراء الجيوسي ، الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ص : ٥٠ .

[١٢] ـ ديوان الجواهري ، ج٤ ، ص : ٣٠٩ .

[١٣] ـ الميداني ، مجمع الأمثال (٣٨٧٩) ، الإسجاح : حسن العفو ، أي ملكت الأمر عليَّ فأحسن العفوَ عني . قال أبو عبيد : يروى عن عائشة أنها قالت لعلي رضي الله عنه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فأجابته (ملكت فأسْجِحْ)، أي ملكت فأحسن، فجهزها عند ذاك بأحسن جهاز وبعث معها أربعين امرأة، حتى قدمت المدينة .

أن النكال بالظالم ضرورة لابد منها في إقامة العدل، في مقابل العفو عنه يكون نكايةً وتشفياً بالمظلوم، وقد تضمن الخطاب تحذير بعدم العفو عن المجرمين، فقد أومأ النص اللاحق إلى تقويض البعد الإنساني الذي تبناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في إشاعة ثقافة التسامح والعفو، كما يرمي إلى تجريد ذات الزعيم من النزوع الانساني النبيل؛ لإشاعة ثقافة القصاص، فالنص اللاحق يرى في الإسجاح ضعفاً ومهادنةً ومصانعة، ويرى في القصاص قوّةً ومبرّةً، وهو بذلك يجعل من تناص التخالف منطلقاً في بناء رؤيته .

أمّا إذا فتشنا عن أسباب التناص فقد تبرز جلية في الموقف التأريخي الإنساني النبيل لعلي بن أبي طالب (ع) أزاء معارضة عائشة، وتطابقه مع الموقف الذي اتخذه الزعيم من المعارضين القوميين، الذي يرتكز فيه إلى ترجيح ثقافة العفو على ثقافة القصاص، وهنا يبرز الموقف الموّحد في رؤية التناص المتآلف، إلّا أن مقصدية النص اللاحق يذهب بها الجدل الفكري وصراع الأيديولوجيات إلى التقاطع مع هذا التصور؛ لذلك تميل إلى تبنّي رؤية سياسية معاصرة تُؤسس على ترجيح القصاص، وهنا تجدر الإشارة إلى خصوصية الأداء الإجناسي للمثل بوصفه بؤرة إشعاع، وقوّة جذب فاعلة تمكنت من جذب الشعر إلى حيز النثر؛ ليصبها في قوالبه وما يشغله من وجود دلالي وفني في مساحة النص الشعري .

وفي موضوعة الفخر بريادة الشعر يقول الجواهري من قصيدة (طيف تحدّر يوم الشمال يوم السلام) [١٤] :

ناديتُ شـــيطاني فأحسَـنَ جابةً وهو المُعاصي ســـيَّدَ الأربابِ

لم يتفاعل النص الشعري مع تمام المثل العربي (**أساء سمعاً فأساء جابةً**)[١٥]، والذي ضرب في مذمة من لا يفقه القول فيسيء الإجابة، إنما أهمل جزءً وضمّن الجزء الآخر مع التحوّل بدلالة المثل من الذم إلى المدح، فإذا شيطان الشعر ارتكب المعاصي ولم يستجب لسائر الشعراء فإنه يستجيب للجواهري طيعاً إذا ما انتدبه في صياغة اليتيمة من فرائد الشعر، وهذه المقصدية تمثل المرسلة التي تضمنها الخطاب للتعبير عن حالة التفوق في الصوغ الشعري .

معنى ذلك أن المبدع لا يتعامل مع المثل بطريقة سكونية بوصفه بنية قارة، إنما يجتهد أن يترك أثراً يشير به إلى مسافة التوتر، لذلك يتحوّل عن المثل سواءً في التحوير أم في التقاطع مع الحالة التي ضرب بها المثل فيصرفه إلى وجهة دلالية مغايرة، عندئذ يحوز على خصوصية التوظيف التناصي بما يرتبط بسبب مع رؤيته، فشيطان الجواهري – كما يعتقد – يمدّه بأسباب الإبداع .

---

[١٤] - ديوان الجواهري ، ج٦ ، ص ١٥ .

[١٥] - الميداني ، مجمع الأمثال ، (١٧٧٣) . جابة بمعنى إجابة .

ب–التضمين الكلّي :

يقول الجواهري في قصيدة (تنويمة الجياع)[١٦]:

نــامـي ولا تتجادلي القولُ ما قالت ((حذام))

انعقد التداخل الإجناسي بين النص الشعري وبين المثل (**القولُ ما قالتْ حَذَام**) [١٧] حول بؤرة التسليم والتصديق، على آلية التضمين الكلّي الصريح حيث ربط بين القول السديد الذي يُعتد به لدى حذام وبين هيمنة المستعمر التي لا تجتريء عليها أية مقاومة، فالشاعر استثمر الطاقة الإيحائية في المثل التي تحيل إلى معنى القطع والجزم باليقين من غير أن يشوبه أدنى شك، في مقابل ذلك إذا ما تكلم أحد أبناء الأمة فإن جداله ضلال وعماية، فالكيفية التي استطاع النص اللاحق أن يتناص فيها مع المثل لم تكن سكونية، إنما تحوّل عن أفكار المثل؛ ليمنح منتجه الجديد رؤيته الخاصة في التجاوز والرفض، وقد استثمر رمزية مركزية حذام وتهميش الآخر ثم تصريف هذه الدلالة للتعبير عن تجربة معاصرة فجاء مضمون المثل مفارقاً لرؤية الشاعر في بناء الخطاب الذي تضمن معاني التهكم، فالتناص لم يؤسس على العلاقات التنافرية من المحاكات الساخرة كما يشير سطح النص، إنما أسس على العلاقات التعضيدية وهي المحاكات الجدية للمرجعية الأدبية [١٨]، فظاهر النص يدعو للنوم والسكوت والخنوع ويتقاطع تماماً مع ما أضمره النص من دلالة عميقة مفارِقة ترمي إلى اللوم والتقريع والتعنيف لأجل الرفض والتوثّب والإنقضاض بذلك لم تنحصر وظيفة التناص في التناسب الفني أو اسهامات جماليات البلاغة في تورية المعنى، إنما أفرز التداخل الإجناسي مفارقة تنطوي على أبعاد فكرية ومواقف نفسية تسعى إلى توعية الفكر وإيقاظ نوازع التحرر تتخذ من صدق الإنتماء إلى الأمة والدفاع عن وجودها منطلقاً في التحريض والرفض والمقاومة فهو لا يعني جلد الذات كما يصرّح سطح النص بذلك، إنما يبذل أقصى ما أوتي من طاقات من أجل الإنعتاق من التبعية، فالنص المرجعي يؤسس للتمركز والثبات ، والنص المعاصر يؤسس لتشظّي المركزية ورفض السكون والتحول باتجاه بنية الإختلاف والتعارض، يبدو فيها النص ((ديناميكياً متحركاً)) [١٩]، إنها بنية التوازي التي انتظم فيها الخطاب تبعاً للتماثل والتضاد، فالنص هنا لا يعني ما يقول، وتبعاً لذلك فإن المقصدية لم تكن

---

[١٦] - ديوان الجواهري ، ج٤ ، ص : ٧١ . وفي النص ذاته يقول الجواهري :

إنَّ الحماقة أن تَشُـــــــقّي بالنهوضِ عصا الوئـــــامِ

وقد تداخل مع المثل العربي (شقَّ فلان عصا المسلمين - الميداني - ١٩٤٨) ، والعصا رمز الوحدة والإجتماع والائتلاف ، فإن انشقت لم تُدْعَ عصاً ، ودلالة الخطاب انصرفت إلى التحريض على نبذ حماقة الطاعة للمستعمر، والتحريض على الرفض والمقاومة والنهوض للخروج على الإرادات المتحكمة في مصير البلاد وإذلال العباد ، وهذا التوظيف الإجناسي يمثل صورة أخرى من صور الرؤية المفارقة التي تقاطعت مع الدلالة الحقيقية للمثل .

[١٧] - الميداني ، مجمع الأمثال ، (٢٨٩٠) .

[١٨] - ينظر: د. محمد مفتاح، دينامية النص، ص: ٨٢ .

[١٩] - د . صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص : ٢٣٩ .

علاقتها طردية مع دلالة عتبة النص (تنويمة الجياع) التي تمثل مشهداً غريباً مشحوناً بالإنفعالات الرافضة، تتبدّل فيه الأشياء من دلالتها الحقيقية إلى دلالة مجازية مفارقة في بنية استبدالية؛ لأن الشاعر الذي ربط مصيره بقضايا الشعب المصيرية لا يدعوه للنوم، إنما يدعوه إلى الإصرار على الثورة؛ من أجل الخلاص والحرية، فالمفارقة شكّلت البؤرة المركزية، والمحور في البناء التناصي بوصفها منطلقاً يثير الدهشة والتساؤل والإستغراب في ذهن المتلقي بما يتناسب مع الرؤية الثورية الطامحة إلى التحوّل والتغيير، وهنا تجدر الإشارة إلى الكفاءة والأداء الوظيفي للمفارقة في عملية التناص بوصفها ترتبط بجماليات التلقي، حيث أن (أفق الانتظار) أو أفق التوقع هو أحد متبنيات نظرية التلقي[٢٠]، فكلّ بنية لا تراعي أفق انتظار المتلقي أو لا تراعي توقّع ما سيحمله النص من معاني يقال عنها خيّبت أفق انتظار الثوابت المعهودة؛ لذلك مثّلت المفارقة أصدق تجسيداً لكسـر أفق التوقع لدى المتلقي، وعلى ضوء ما تقدم يبدو التناص((وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه))[٢١] .

تجلى التناص مع المثل أن الموروث لازال يحتفظ بالحيوية والفاعلية في إضاءة الحاضر، وفي الوقت ذاته أن خصوصية التوظيف التناصي والتحام المثل في وحدة النسيج النصي عبر شبكة من العلاقات أتاح للجنس الأدبي القديم أن ينبض من جديد، فعملية التجنيس لا تتغيا تقويض النوع الأدبي كما يظن البعض، ربما تمثل إشكالية في حيز التنظير تبعاً لإختلاف زاوية النظر وتباين المرجعيات المنهجية، أمّا من حيث الإجراء فيعد التجنيس أحد تمظهرات شعرية النص، ولعله شكّل الهاجس العلمي في رؤية جينيت في بناء نظرية اتساعية تحتمل الأشكال الأدبية، من خلال كتابه (مدخل لجامع النص) الذي سعى فيه إلى بناء نظرية عامة ومحتملة للأشكال الأدبية [٢٢].

ويقول الجواهري من قصيدة (في مؤتمر المحامين) [٢٣]:

أفي الغُنْمِ أشـجعُ من قَسْـورٍ وفي الغُرمِ أجبنُ من صـافرِ ! ؟

جاء النص اللاحق متداخلاً مع المثل العربي **(أجبن من صافر)**[٢٤] على وفق آلية التضمين الكلي،

---

[٢٠] - ينظر : روبرت هولب ، نظرية التلقي ، تر : عز الدين اسماعيل ، ص : ١٥٤- ١٥٩ .

[٢١] - د. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص: ١٣٤- ١٣٥ .

[٢٢] - ينظر : جيرار جينيت ، مدخل لجامع النص ، المقدمة .

[٢٣] - ديوان الجواهري ، ج٤ ، ص : ٨٩ .

[٢٤] - الميداني ، مجمع الأمثال ، (٩٨٠) . الصافر : خشاش الطير يتعلق من الشجر برجليه ، وينكِّس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته ، ويعد المثل من المشتركات العامة بين الشعراء كما في قول (عمران بن حطّان ـ ديوان الخوارج ، تح : د . نايف معروف ، ص : ١٥٥) يعرّض بالحجّاج بن يوسف الثقفي إثر فراره أمام غزالة الخارجية :

أســـــدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ فتخاء تطفر من صفير الصافر

هلّا برزتَ إلى (غزالةَ) في الوغى بل كان قلبُكَ في جناحي طائر

وقد انتفع النص الشعري من صيغة (أفعل من) التي كثر دورانها في المثل [٢٥]؛ لما فيها من غرابة الموقف وطرافته في تحصيل دلالة الذم أو المدح بوصف المثل معياراً يشكّل منتهى مدارج التوصيف، كما انتفع النص الشعري من الثنائيات الضديّة بين (الغرم والغنم أي بين الرخاء والشدة، وبين أشجع من وأجبن من، وبين قسور وصافر) في تجسيد السخرية ممن يدعي الشجاعة وقلبه أوهن من قلوب خشاش الطير من خلال وجه الشبه المتحصّل جرّاء المقارنة بين أمرين متناقضين بذلك تتجلى فاعلية التناص مع المثل في أوضح تمظهراته في تناسب الصورة التي تجسّد الموقف النفسي للجبان الخائف، وقد ضرب المثل لبيان حالة النفوس الخبيثة، وتعرية المتسترين على اللؤم في نسيج متلاحم متماسك اعتمد في بنائه على جماليات البنية الصوتية المنتظمة في التقطيع اللغوي، فضلاً عن أداء الاستفهام الانكاري في تكثيف حالة الذم الذي اجتره النص اللاحق من قول عمران بن حطَّان[٢٦]، فكانت المناسبة تستدعي مجيء المثل لتطابقه معها في الدلالة، فالأداء الوظيفي للمثل لم ينحصر في المساهمة في بنية الشعر، إنما أسهم في اختزال الدلالة وتكثيفها بوصفه أحد الروابط في التراسل الثقافي؛ لذلك جاءت العلاقة التناصية علاقة تعضيدية، وقد تعامل النص الشعري مع المثل بوعي سكوني دونما أي تحوّل؛ لإنه لم يتمكن الخلاص من سلطة الموروث فاكتفى بالقيمة الدلالية التي اختزلتها لغة النص السابق.

وقد يكون التضمين كلياً كما في قصيدته (يا أبا ناظم) [٢٧]:

أنا ذا– من عهدت– حرٌ صريحُ الـ –قول أُلقي بما لديَّ وأعني

لا مُداجٍ ، ولا مُســرٌّ بحســوٍ في ارتغاءٍ ولا أُحبُّ التكنّي

تداخل النص الشعري مع المثل العربي **(يُسِرُّ حَسْواً في ارتغاءٍ، ويرمي بأمثالِ القطا فؤادَهُ)** [٢٨] وفق آلية التضمين الكلي، وقد تقاطعت دلالة المثل التي تضرب للمداجي الذي يتزيّا بأثواب التقاة مع الرؤية الأخلاقية لدى الشاعر بأنه حرٌّ، وصريحٌ لايحب الكنى، و صادقٌ غير مداجٍ، ومجيء لا النافية إنما أفادت توكيد الصفات الحميدة في شخصية الشاعر وهذا من إمارات النفس الكريمة الأبيّة، بذلك يشكل التناص انحرافاً دلالياً حيث انحرفت قصدية النص اللاحق عن قصدية النص السابق (المثل) .

---

[٢٥] - أفرد الميداني في معجمه (مجمع الأمثال) باباً أسماه ما جاء على أفعل من هذا الباب عقب كل حرف من حروف المعجم .

[٢٦] - ينظر: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي)، ص: ٣٠٨ .

[٢٧] - ديوان الجواهري ، ج٥ ، ص : ٢٢٧ .

[٢٨] - الميداني ، مجمع الامثال ، (٤٦٨٠) . الإرتغاء : شرب الرِّغوة . وأصله : أن الرجل يُؤتى باللبن فيُظهر أنه يريد الرغوة خاصة ، ولا يريد غيرها ، فيشربها ، وهو في ذلك ينال من اللبن . يضرب المثل لمن يريك أنه يعينك ، وإنما يجر النفع إلى نفسه .

إن وعي الجواهري لذاته يمثل قواماً وجودياً أمدّه بالقدرة على تجسيد الذات المجرّدة، من خلال استثمار طاقاته الفنية للتعبير عمّا يستوجبه الموقف؛ بذلك يرقى إلى مستوى الشخصية الحرّة المستقلّة التي تعي مسؤولياتها الأخلاقية وتلك سيرة سلفه من الشعراء الاصلاحيين والتنويريين .

٢- آلية التمثيل :

ترتكز آلية التمثيل في متناصات الجواهري على امتصاص المعاني والأفكار التي ينطوي عليها المثل وتوظيفها بحسب مقتضيات التجربة وما يتناسب مع الموقف، والذي يمكن للمتلقي أن يتبين بعضاً من النص الغائب على نحو مباشر أو غير مباشر على شكل التناص المضموني، ومن ذلك قول الجواهري من قصيدة أبَّن فيها (عبد الحميد كرامي)[٢٩] :

وصحافةٌ صِفرُ الضمير كأنها سلعٌ تباعُ وتشترى وتعارُ

لاشك أن المستوى الدلالي للنص الشعري يشير إلى فترة حرجة من التأريخ السياسي المعاصر للأمة، حيث تحولت الصحافة إلى سوق لتجارة الضمائر، وهو تقريع بالحكّام اللبنانيين الذين ارتبطوا بالنفوذ الأجنبي .

إن نقد الحياة في جانبها السياسي يمثل مصداقاً لصورة الذات وتجسيد ملامحها من خلال التعبيرعن صور الاختلاف مع الآخر، والجواهري حين يلزمه الموقف الوطني ينبري منافحاً عن الكليات والثوابت من المُثل والقيم النبيلة من خلال تداخله النصي مع مكتنزات موروثه الأدبي واستثمارها لإيقاظ الفكر .

تجلّى التداخل الاجناسي وفق آلية التمثيل التي لم تتمثل أفكار النص السابق التي تشير إلى معنى افتقار اليدين من كل خير، إنما تحوّل بدلالة النص الغائب إلى دلالة متجاوزة غير نافية للمتناص حيث أبقى على (صفر) التي تعد البؤرة التناصية في توجيه الدلالة؛ ليكسر بها (أفق التوقع) أو (التوقع الخائب)[٣٠] بحسب ياكبسون ، جرَّاء (المفارقة) التي استحضرت معها شروط التوظيف التناصي المعاكس؛ لأن الذي قرّ في ذهن المتلقي هو (**صَفِرَتْ يداه من كلِّ خير**)[٣١]، إلّا أن المبدع أفرغه من محتواه التراثي ليشحنه بدلالة معاصرة تتحقق فيها مقصدية النص في بيان عمق التفاوت بين خطابين وبين أيديولوجيتين تجسدان الوظيفة العكسية للتناص بين (المدلول التراثي) و (المدلول المعاصر)، حيث إن دلالة الفقر تتقاطع تماماً مع دلالة من يروّج للباطل ويشيع ثقافة الظلم .

---

[٢٩] - ديوان الجواهري ، ج٤ ، ص : ٣٧ . وقد دوَّر الشاعر هذا المعنى في أكثر من موضع ؛ لإنه وجد فيه ضالته من القدح والتقريع تعبيراً عن تبرمه وسخطه ممن يحاول النيل منه كما في قوله :

كفرت بالعلم صِفْرَ القلب تحمله للبيع في السوق أشباه البراذين

البراذين : جمع برذون وهو الحمار ، ويريد بأشباه البراذين : النقاد الذين استهانوا بشعره ، وهم صفر القلب أي بلا ضمير. ينظر : ديوان اجواهري ، ج٥ ، ص :٩٧ .

[٣٠] - حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص : ١٣٦ .

[٣١] - الميداني ، مجمع الأمثال ، (٢٠٩٦) .

هذا التوظيف الاجناسي لايمكن أن يوصف بالإنحراف عن الأصل، إنما هو أصل جديد يمثل خروجاً عن المألوف لم تعهده الذاكرة الجمعية ؛ لإنه حقق عنصر المفاجأة، والمزية والبراعة لمن يحسن تصريف اللغة ويفجّر طاقاتها لإنتاج عنصر المفاجأة، واستثمارها بوصفها طاقة خلّاقة ، وهنا يمكن الإشارة إلى فاعلية السياق في توجيه دلالة (الضمير) التي تعد منظومة معرفية واسعة توافرت على دلالات شتّى تراكمت في ذهن المتلقي يمكن إجمالها بكل الصفات الإنسانية .

إن الجواهري لا ينص على أصل بقدر ما ينتج أصلاً جديداً، ولا يتقصّد المعنى الغائب بقدر ما يولّد المعنى الذي يتقصده هو بلغة إختزالية متجاوزة، وكان من نتيجة ذلك أعتق الدال من تبعيته للمدلول وأصبحت الكلمة في عوالم الشعر إشارة حرّة تنفتح على آفاق دلالية متعددة، ولعلَّ ذلك يمثّل أحد المرتكزات المهمة في شعرية التناص، فهو لا يسلّم بكلِّ ما انتهى إليه الموروث وهذا أحد الهواجس التي أفضت به إلى التفرّد والخصوصية، ويمكن تلمس ذلك من خلال الفروق بين المثل وهو في فضائه الجنسي الثابت، وبين المثل وهو في فضاء الشعر الذي منحه الفاعلية والتجدد في خطاب جديد استوى فيه المثل أكثر جمالاً واسترسالا، وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول أن التجنيس مقاربة جمالية وليس تقويضاً للنوع الأدبي في عملية تداخل الأجناس الأدبية .

مما لاشك فيه أن الجواهري قرأ المثل العربي بوصفه جنساً أدبياً مستقلاً قراءة استقصى فيها لوازم أدبية ذلك الجنس، فاجتهد في استثمار تلك اللوازم من خلال بناء علاقات تناصية ترتبط بسبب أو مناسبة تسوّغ استحضار المثل بشروطه الإبداعية، فحينما يرى الأمة وقد تعاورتها المحن، وتكالبت عليها قوى الاستعمار، وأضحى الصوت الوطني مغيّباً يسومه الاقصاء مرّ الهوان، اهتز وجدان الشاعر فجسّد حالة الذل والهوان والتمزق والفرقة في قوله من قصيدة (يا ابن الفراتين) [٣٢] :

نُذادُ عن وطنٍ عِشـــنا مصايره كما تُذادُ عن (المزروعة) النَقَدُ
أقول للقوم غالوا في رغائبهـــم حتى تخالط جدٌ منهـــمُ ودَدُ
على الحدود أضابيرٌ لمن صلحوا من ثائرين على ظلمٍ ، ومن فسدوا
نصحٌ لكمْ محضهُ حلوٌ – وخالصةٌ ليَ المرارة – منه العذل والفَنَدُ
لا تقبسوا جمرةَ العجلانِ واتئدوا فطالما سـبق العجلانَ متئـــدُ

حاول الشاعر أن يمنح نصه الشعري خاصية التجدد والتفرّد وحيازة الديمومة والتداول من خلال تعاليه النصي عبر آلية التمثيل والإشباع بأفكار ومعاني النص السابق (**أذلُّ من النّقَدِ**)[٣٣]، وقد انتفع من بنية المشابهة وتوجيهها وفق مقاصده في تجسيد حالة الخسف والهوان التي يمنى بها الفرد العربي كما تُسام الهوام حين يزجر الراعي ويطرد الأغنام ليذودها عن الزرع، وهذا المعنى ألحّ على ذاكرة الشاعر

---

[٣٢] ـ ديوان الجواهري ، ج٥ ، ص : ٣٤٧ .
[٣٣] ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، (١٥٠٦) . النّقَد : جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه .

في استدعاء هذا المثل لما بينهما من تطابق الدلالة وتعضيد الرؤية السياسية بعدم امكانية تحقق الوحدة العربية في وطن تتقاسمه التحيزات والأهواء، وتتجاذبه الإرادات الأجنبية المستعمرة، وليس أدل على المهانة من أن يمنع العربي من دخول البلاد العربية لذلك استغل النص اللاحق صورة الهوان حين تطرد النّقد من ارتياد حقها الطبيعي في الإطعام، وهذه صورة حقيقية من تمثيلات التمركز الغربي بما يختزنه مخياله من أوهام تصوّر الآخر دون مستوى البشر كما لو أنهم من جنس غير مرغوب فيه، وهذا التناسب يعد البؤرة التناصية التي سوّغت التفاعل الإجناسي وألغت الحواجز بينهما .

وفي قوله : (لا تقبسوا.....)[٣٤] تمثّلَ معاني النص السابق وأفكاره **(العاقل مَنْ يرى مقرَّ سهمهِ من رميته)** [٣٥]، أتاح المثل العربي أمام النص اللاحق إمكانية بلورة رؤيته المتأتية من قراءته الواعية للواقع العربي المزري؛ مما حمله على إنتاج الخطاب الذي ينطوي على معاني التعقّل والتدبّر وإمعان النظر في العواقب، والأخذ بالتأنّي ونبذ الإستعجال وعدم المغالات، وقد استمدّ هذه المعاني من الحكمة التي اكتنزها المثل فاستعان بها على إضاءة رؤيته بقصدية تبصرة من خفيت عنهم الحقائق، وهذا من شأنه أن ينهض بقوة على مناسبة المثل وتطابقه مع الموقف السياسي الصحيح، وتعضيد رؤية النص اللاحق بأن الأمة لا تتوحد ما لم تتحرر الذات العربية من أسر التخلف ، وتتحرر من التبعية والهيمنة الأجنبية .

إن الكيفية التي التحم بها المثل وأصبح جزءً لا يتجزء من بنية النص الشعري هو أن الشاعر تجنب التصريح واتكأ على التلميح في إيصال رمزية المثل في تحفيز ذهن المتلقي على التأنّي والتدبّر، وهذا دليل على استيعاب الشاعر لحمولات الأمثال واستثمارها ببراعة فائقة تنسجم مع معطيات الموقف السياسي العام، كما اتبع التناص الإجناسي منحى فكرياً جعل فيه الحجاج منطلقاً فكرياً بوصفه وسيلة للإقناع المنطقي.

التناص الإجناسي لا يعني اسداء الحكمة بقدر ما يرمي إلى مضاعفة إمكانات الفهم وإيقاظ الفكر، وادراك ما يحيق بالبلاد العربية من أخطار .

ويجسّد الشاعر صورة أخرى من صور الفساد السياسي كما في قوله من قصيدة (في مؤتمر المحامين)[٣٦] :

قعيدٌ ويكرهُ سعي الجموع إلى الخير كالمرأة العاقرِ
فلا هو للشَّعب في كلّـه ولا هو للجانب الآخـرِ
ولكن كما شَغلَتْ نفسَهـا بنحيينِ أُختُ بني عامرِ

---

[٣٤] - ينظر : مجمع الأمثال (٣٠٦٥) وقد ضمَّن المثل : (**كالقابس العجلان**) يضرب لمن عجل في طلب حاجته .

[٣٥] - م ، ن ، (٢٥٥٥) .

[٣٦] - ديوان الجواهري ، ج٤ ، ص : ٨٩ .

فكفٌّ تُهدهدُ غيظَ الجموع وكفٌّ على منصب شاغر

يمثل الهاجس الثقافي أحد الهواجس التي شغلت اهتمام الجواهري بوصفه مطلباً فكرياً ابداعياً في استراتيجية التناص يسهم في شعرية النص، والمتأمل في طبقات النص سرعان ما تحيله إلى خارج النص على نحو شبكة من العلاقات الثقافية ، وحينما تبدأ بتفكيك مفردات النص (قعيد ، سعي) لابدّ أن يحيلك الحضور اللغوي إلى استحضار المثل العربي **(رُبَّ ساعٍ لقاعدٍ)** [٣٧]، والذي يضرب في الحصول على المنافع من غير سعي أو بذل أدنى مشقة ، وقد تحوّل النص الشعري من صيغة (قاعد) إلى صيغة (قعيد) بقصدية واعية تضمنت تكثيف معنى الذم والمبالغة فيه ؛ لأن هذه الصيغة لم يؤتَ بها لعلة إيقاعية، إنما لتدلّ على أن الوصف قد وقع على صاحبه كالسجية الثابتة فيه، و يستوي فيها المذكر والمؤنث [٣٨]، لذلك استثمر الشاعر الطاقة الدلالية في معاني الأبنية لتحقيق المقصدية في تكثيف الذم حيث قرن القعيد بالمرأة العاقر التي لا يرتجى عطاؤها، وهذا التداخل يعد تمهيداً للدخول في علاقة تناصية إجناسية ترتكز إلى بنية المشابهة في تجسيد الواقع السياسي الفاسد، من خلال امتصاص البعد الفكري الذي تضمنته المرويات التأريخية **(أشْغَلُ من ذات النِّحْيين)**[٣٩] ، أن هذا التجنيس كشف عمق الفساد السياسي، وكشف الهم الإنساني الذي اقترن بشخصية الشاعر فانبرى منافحاً عن قضية وطنية طالما استأثرت باهتمامه؛ لذلك أخذ على النخب السياسية والبرجوازيين مواقفهم المتخاذلة أمام قضايا الشعب، فآل على نفسه إلّا أن ينبري لتعرية السلوك المشين، فأزرى بهم زراية انتصف فيها لأبناء شعبه حين صورهم بما اختاره من موروثه الثقافي الذي أمدّه بمحمولات توفّر له دقة إصابة المعنى الذي ينم عن اتقان الصنعة، فكأنه قاس المثل وطابقه على قدر الشروط النفسية في النظرية البرجوازية التي تتيح لمعتنقيها شرعنة السلوك الذي يوفّر طموحاتهم ولو على حساب موجبات الشرف .

يمثل هذا النص أحد تمظهرات (الخطاب النقدي) في تناصات الجواهري من خلال ما قدح به النسق البرجوازي المخادع الذي يسعى إلى امتلاك كلّ شيء، فالشفرة التي سكت عنها النص وخاتل في

---

[٣٧] ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، (١٥٨٣) ، أول من قاله النابغة الذبياني وقد غبط أهل الميت على ما حباه به النعمان مع الوافدين عليه في قوله :

أتى أهلَهُ مِنْهُ حِباءٌ ونعمة وربَّ امريءٍ يســـعى لآخرَ قاعدِ

ثم زاد عليه معاوية : أسلمي أمَّ خالدِ ، رُبَّ ساعٍ لقاعد ، وآكل غير حامدِ ، على أثر فشل جهود أبي هريرة من تزويج أم خالد زوجة عبدالله بن عامرٍ من يزيد وقد آثرت الحسن بن علي (ع) .

[٣٨] ـ ينظر: د . فاضل صالح السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ، ص : ٦٠-٦١ .

[٣٩]ـ ذكر الميداني في مجمع الأمثال (٢٠٢٩) أن امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة ، كانت تبيع السمن في الجاهلية ، فأتاها خوات بن جبير الأنصاري الذي قالت عنه العرب : (أنكح من خوات ، ٤٢٨٩) يبتاع منها سمناً ، فلم ير عندها أحداً ، وساومها فحلّت نحياً ، فنظر إليه ثم قال : أمسكيه حتى أنظر إلى غيره ، فقالت : حلّ نحياً آخر ، ففعل ، فنظر إليه فقال : أريد غير هذا فأمسكيه ، ففعلت ، فلما شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب . والنِحي بالكسر : زق للسّمْن والجمع أنحاء .

حجبها التي يمكن اعتمادها بؤرة تناصية هي : أن المنافع الشخصية فوق اعتبارات المثل الأخلاقية، عندئذ يتحول مفهوم الشعر إلى **فعل نقدي** حين يلزم الشعر بنقد الحياة، وذلك أحد مجالات اشتغال النظرية النقدية .

وليس ادلّ على جدلية التناص والتأويل ما ذهب إليه ميخائيل ريفاتير ((فقد تبنى صيغة التناص واستعمالها كمرتبة من مراتب التأويل))[٤٠]، وكلما تعددت مستويات النص واختلفت دلالاته كلما تعددت قراءاته، بذلك يكون نص الجواهري قد انتفع من تضمين المثل في التعبير عن رؤيته السياسية وصلابة موقفه الوطني .

استحوذ النقد السياسي على الجانب الاكبر من خطاب الجواهري كونه شهد وتفاعل مع الاحداث السياسية على مدى قرن من الزمان، واحساسه العميق بما تفرزه التناقضات بين الحاكم والمحكوم، وعلى وجه الخصوص عند (الانتلجنسيا) بوصفها مرجعية فكرية انيطت دوراً طليعياً من بين النخب الثقافية، في نقد الانساق الثقافية التي تضمر التمركز لذاتها وتهمّش الآخر .

- ويحضر التناص في مقطع كامل فقد ارتجز الجواهري قصيدة (طرطرا)[٤١]عام ١٩٤٥ م والتي ختمها بقوله :

أي طرطرا يا لك من قبـرة بمعمـــر
خلا لك الجو وقـد طاب فبيضي واصفري
ونقّري من بعدهـم ما شاتِ ان تنقّــري
قد غفل الصّياد فـي لندن عنك فابشــري

عمد الجواهري إلى جانب من جوانب المناص (المقطع) يختم به قصيدته بوعي تام، يشير به الى عدم خروجه عن سنن العرب، وعنايته في بناء القصيدة، فقد نظرالنقاد القدامى الى المقطع كما نظروا الى المطلع من حيث اهتمامه بالمتلقي ((واحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به اوله مع آخره على ما ينسقه قائله)) [٤٢] فالتناسق والاتساق يمثل الاطار المنطقي الذي يستمد منه النص قوة التماسك ومزية الترابط ،((وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الاسماع ، وسبيله ان يكون محكما: لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه)) [٤٣] .

تشير عتبة النص (طرطرا) الى دلالة التهكم والسخرية، و(الطرطور) في اللهجة العراقية الدارجة (الرجل الوضيع)، يحيل بناء النص الى الأرجوزة الدبدبية ذائعة الصيت التي قيلت في العهد العباسي

---

[٤٠] ـ مارك انجينو ، في أصول الخطاب النقدي الجديد ، ص : ١١٠ .
[٤١] ـ ديوان الجواهري ، ج٣ ، ص : ١١٩ .
[٤٢] ـ إبن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، تح : عباس عبد الستار ، ص : ١٣١ .
[٤٣] ـ إبن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ج١ ، ص : ٢٣٩ .

امتصّ النص الشعري أفكارالمثل العربي **(خلا لك الجو فبيضي واصفري)**[٤٤] .

اجتهد الجواهري في تنوّع آليات النقد السياسي، فالتبرم والرفض والاحتجاج سوّغ له انتاج خطاب التهكم المشبّع بالسخط والتذمر، وهو واحد من الأنساق الثقافية التي تلبّي جانبا من جوانب الهجاء يعبّر من خلالها عمّا أضمره من إحساس بالخيبة والخذلان أمام واقع مرير ألجأه أن يتخذ من السخرية والمناقضة والتندّر وسيلة ينال بها من أعداء الحرية؛ تعبيراً عن موقفه المناهض لكل أشكال التبعية والعبودية، مما جعل غرض الهجاء يشغل مساحة واسعة من شعر الجواهري حين ينافح عن ذاته وعن وطنه وأمته، اضماراً أو تصريحاً أو تهكماً يجمع فيه بين الجد الهزل، لا يدع من خصمه مطعناً إلّا أجهز عليه .

ويعد نص الجواهري رداً ساخرا على مرسوم صيانة الامن العام وسلامة الدولة رقم ٥٦ لسنة ١٩٤١ م، وقد وظّف فيه المثل العربي؛ ليجسد زوال أسباب المحذور وغياب القانون والانضباط، وشيوع الانفلات وتسلط الادعياء يعيثون في الأرض فسادا، على أثر غلق جريدته (الرأى العام) من قبل (مصطفى العمري) و(صالح جبر)، في زمن كثر فيه التزوير والبدع، فصالح جبر(يتشمَّر ويتعنَّز ويتعثمن ويتعرَّب)[٤٥] ويتلوّن وينقلب حيث تستوي مصالحه؛ لإنّ أسياده الذين يخشاهم في غفلة عنه في لندن قد أمن جانبهم .

انطوى خطاب الجواهري على أن النص لا يعبّر عن ذات الشاعر بقدر ما يعكس روح العصر التي أُثقلت بالخيبة والاحباط ، فكان تعبيراً صادقاً عن وضاعة المتنفذين إبان وصاية عبد الاله، وجسامة الحيف الذي لحق بالعباد جرّاء ما امتحنوا به من أدعياء لم يكونوا أهلا لقيادتهم، فغياب أسباب المحذور جعل القبّرة تصنع ما وافق هواها بذلك أصبحت رمزاً وعلامة يعرف بها من يكيل بمكيالين وينقلب حيث يخلو له الجو عندئذ تكون العلاقة التناصية علاقة تعضيدية من خلال اندماج المضمون المورّى عنه في النص الشعري في كشف البعد النفسي المتمثل في خفة قلوب الطير وعدم الثبات واتباع الهوى وهذا التناسب سوّغ تعميق الدلالة وسطوع الرؤية، وفي ذلك إشارة إلى مقدار أهمية التداخل الإجناسي، ومقدار اندماج المثل مع النص الشعري لأجل التخصيب والانتاجية .

---

[٤٤] ـ الميداني ، مجمع الأمثال (١٢٦٨) . أوّل من قال ذلك طرفة بن العبد :
يا لك من قبّرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

[٤٥] ـ الجواهري ، ذكرياتي ، ج١ ، ص : ٤٣٤ .

الخاتمة

. شغل المثل مساحة لافتة في نصوص الجواهري، واحتلّ موقعاً تقوّضت أمامه الحدود بين الأجناس الأدبية، وهذه الحركة الإجناسية تشير إلى الإمكانات الفنية العالية لدى الشاعر وتمكين النص الشعري من احتواء الأجناس الأدبية في نسيج شعري موّحد.

. إن حضور المثل في النص الشعري يعد مقاربة جمالية وليس تقويضاً للنوع الأدبي في عملية تداخل الأجناس الأدبية.

. استحواذ الطابع السياسي على توظيفات المثل مما أنتج خطاباً سياسياً انطوى على فعل الرفض والتقريع والنقد.

. كشف التداخل الإجناسي أن الشاعر لا يتعامل مع المثل بطريقة سكونية بوصف المثل بنية قارة، إنما أنتج نصاً ينطوي على خاصية التحوّل باتجاه ما يتوافق مع تطلعاته الفكرية والسياسية والاجتماعية في بلورة رؤية معاصرة.

. إن الأداء الإجناسي أفضى إلى تحرير الدال من تبعيته للمدلول، وأصبحت الكلمة علامة حرّة في عوالم الشعر، تنفتح على آفاق دلالية متعددة، وذلك أحد المرتكزات المهمة في شعرية التناص.

إن استلهام الحمولات الدلالية التي يكتنزها المثل تشكّل مظهراً من مظاهر عناية الجواهري واهتمامه واعتزازه بموروثه العريق، وهذا أمر يستشف منه أن الشاعر يؤسس لمشروع سيميائية التناص من حيث اعتبار النص(ظاهرة ثقافية) تستمد حضورها من مرجعيات ثقافية ومعرفية متعددة، ولعل هذا المنحى يمثل أحد المحاور الرئيسة التي تبنتها جوليا كرستيفيا في (سيمياء الثقافة) حيث وجد الشاعر في المثل العربي مكنزاً يشكّل معمارية النص يسهم في تعميق التجربة الشعرية، كما يسهم في تحقيق رؤية اللاإجناسية.

المصادر والمراجع

. إبن الأثير :ضياء الدين أبو الفتح نصر الله(ت ٦٣٧ هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: د.محمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر . القاهرة، ط١، ١٩٦٠م .

. إبن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن(ت٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت . لبنان، ط٤ ، ١٩٧٢ م.

. إبن طباطبا العلوي: أبو الحسن محمد بن أحمد(ت ٣٢٢هـ)، عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية . بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م .

. إبن عبد ربه: أبو عمرأحمد بن محمد الأندلسي(ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تح: أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ .

. جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، تر: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد.

. حسن ناظم، مفاهيم الشعرية. دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي . بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

. روبرت هولب، نظرية التلقي، تر: عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط١، ١٩٩٥م .

. سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: د. عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، ط٢، ٢٠٠٧ م.

. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية . صيدا، بيروت، ٢٠٠٧ م.

. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي،دار المعارف بمصر، ط١٠، ١٩٨٢م

–صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ١٩٩٢ م.

. مارك انجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد، ط١، ١٩٨٧ م.

. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(ستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، ط٢ ، ١٩٨٦ م.

. محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب،ط٣، ٢٠٠٦ م.

. الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري(ت ٥١٨ هـ)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، ط٣، ١٩٧٢م.

المقالات

. شجاع العاني، الليث والخراف المهضومة. دراسة في بلاغة النص الأدبي، مجلة الموقف الثقافي، العدد (١٧) ١٩٩٩ م.